من بحوث مجمع اللغة العربية

تأصيل وتصحيح

بقلم الاستاذ عبد الله كنون
عضو مجمع اللغة العربية

قرأت في الجزء السابع عشر من مجلة مجمع اللغة العربية كلمة للعالم البحاثة أمين الخولي بعنوان حول بحث لما به . وهو البحث الذي كنت قدمته الى مؤتمر المجمع في دورته الثامنة والعشرين واحيل على لجنة الاصول . وكان مما يحتوي عليه النظر في تأصيل عبارة لما به وتصحيح استعمال الواسطة بمعنى الوساطة وان لم يرد في كتب اللغة

وأفادت الكلمة المذكورة أن لجنة الاصول وافقت على ما ذكرته في تاصيل عبارة لما به وعلى اقرار استعمال الواسطة بمعنى الوساطة فلها الشكر على ما تقوم به من خدمة للغة العربية وتقدير لجهود العاملين لخدمتها .

غير ان في تلك الكلمة ما يحتاج الى التعليق وهو نقط ثلاث :

الاولى : تعقيبها على قولي في البحث ان بعض الأحاديث يرويها أحد الائمة الاثبات من غير أن يرفع سنيدها ، لعلها كانت معروفة عند اهل الصدر الاول باسانيدها المرفوعة ، فقالت الكلمة انى لم أذكر لهذه الاحاديث نظيرا تعنى مثالا وتشككت في الامر . وأظن أن المسألة من الشهرة بحيث لا تخفى على أهل العلم .. وأول ما أثيرت في الكلام على تخريج أحاديث الموطأ للامام مالك بن أنس عند التعرض لبلاغاته الاربعة المعروفة التي لم يجد لها ابن عبد البر سندا مرفوعا وهي (حديث) انى لا أنسى ولكن أنسى لاسن ، و (حديث) انه صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الامم فكأنه تقاصر أعمار أمته فأعطى ليلة القدر التي هي خير من الف شهر و (حديث) معاذ آخر ما أوصاني به النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضعت رجلي في الغرز أن قال حسن خلقك للناس . و (حديث) اذا نشأت بحرية الخ فهذه الاحاديث هي التي قيل فيها لعلها كانت معروفة الاسانيد عند المتقدمين ، وعدم اهتداء ابن عبد البر الى أسانيدها ليس دليلا على عدم وجودها . وبالفعل فان ابن الصلاح قد وصل هذه الاحاديث الاربعة في تأليف مستقل وهو بعد ابن عبد البر .

وهذا هو ما قصدت التنظير به في مسألة الواسطة وزدت على نقل استعمالاتها عند غير واحد من الاعلام بالمعنى المراد ، فنظرت في اشتقاق الموسوط الذي يدل على وجود الفعل الدال على ذلك المعنى وسكوت العلماء عليه .

وأشار الشيخ محمد حبيب الله بن مايا الجكني الشنقيطي في نظمه «دليل السالك الى موطأ الامام مالك» لمسألة البلاغات هذه بقوله :

وقد تتبع ابن عبد البر ما
من البلاغ فيه كان علما
وشبهه بالسند الجميع لا
أربعة فما عليها حصلا
وقال بعض من عليه كتبا
ممن له التحقيق جزما نسبا
ان قصور المتأخرين عن
وجودها موصولة بلا وهن
ليس بقادح فربما ترى
موصولة لبعض من قد غبرا

وقد رايت بعض متقني السنن
من حازفي كل العلوم خيرفن
عزا الى نجل الصلاح أن وصل
أربعة الاخبار فالكل اتصل

وأثيرت المسألة أيضا من طرف ابن حجر عند الكلام على ما انتقد من أحاديث البخاري لما في أسانيدها من مجاهيل ، وذلك في مقدمة الفتح ، فقال ان أكثر هؤلاء من مشايخه وعدم اطلاعنا على احوالهم لا ينفي توثيقهم لما علم من تثبت البخاري وعدم روايته الا عن الحفاظ الثقات الاثبات . وردد هذا الكلام القسطلاني في أول شرحه للصحيح .

وأثارها أيضا السيوطي عند الكلام على حديث اختلاف أمتي رحمة فقال أخرجه نصر المقدسي في الحجة والبيهقي في الرسالة الاشعرية بغير سند وأورده الحليمي والقاضي حسين وامام الحرمين وغيرهم ، ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل الينا (اهـ) ذكره ابن الديبع في تمييز الطيب من الخبيث .

هذا ما يتعلق بهذه النقطة من حيث اثبات هذه المسألة .. أما ما في الكلمة مما يتعلق بتنزيل لها في الحكم على الواسطة فهو رأي للكاتب لا أناقشه فيه لان لكل أن يرى ما شاء ، وبحسبي نفي التشكيك في صحة القول الذي أوردته .

الثانية : تعرضت الكلمة في قسمها الثاني الى تخريج عبارة لما به ، فانتقدت ما رأيته في ذلك ، كما انتقدت ما رآه الشيخ محمد علي النجار فيه ، وأتيت برأي ثالث أغرب من الرأيين معا ، وأطول رشاء . ولعل الرأي الصواب في هذه العبارة هو ما وقعت الاشارة اليه في البحث من أنها عبارة مأثورة استعملت في هذا المعنى قديما وخلصت الى الكتاب والادباء الذين يحتج بهم ، فيكفينا ذلك عن توجيهها وتعليلها الا أن نجد لعلمائنا المتقدمين رأيا مقبولا في ذلك فنأخذ به شاكرين .

الثالثة : ذكرت الكلمة أنها توافق على ما قلته من أن مدلول عبارة لما به هو ما يفيده تصحيح الناشرين (المصريين) لعبارة المراكشي .. وهذا الكلام ربما أوهم أنني الذي عبرت بالناشرين المصريين ، في حين أن أحدهما مغربي والآخر مصري ، (1) فتعين رد الامر الى نصابه .

وأخيرا أذكر شواهد أربعة من الكلام الفصيح الذي جاء فيه تعبير لما به ولم تذكر في البحث ولا فيما حوله .. واثنان منهما مما كتب به الى الزميل المحترم الاستاذ محمد الفاضل ابن عاشور بعد رجوعنا من مؤتمر المجمع قائلا انه وقف عليهما عفوا في أثناء مطالعاته .

فالاول من كلام الامام علي رضي الله عنه وقد جاء في نهج البلاغة (ج ل ص 244 ط بيروت) وهو في وصف حال مريض ميؤوس منه ونصه :

« حتى فتر معلله ، وذهل ممرضه ، وتعايا أهله بصفة دائه ، وخرسوا عن جواب السائلين عنه ، وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه فقائل (هو لما به) وممن لهم على ايابه عافيته ، ومصبر لهم على فقده يذكرهم أسى الماضين من قبله» .

والثاني من شعر أبي نواس يجيب أحمد بن روح حين هجاه فيقول :

لا رعى الله ابن روح
وسخ اسمي بلعابه
أسقم اسمي ريح فيه
فأظن اسمي (لما به)
فابتغوا لي اسما سواه
وأجدوا في طلابه

وأما الشاهد الثالث فقد وقفت عليه في كتاب علل الحديث لابن أبي حاتم ونصه :

« سألت ابي عن حديث رواه معتمر بن سليمان عن فضيل بن ميسرة عن أبي حريز عن أيفع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد امرأة من خثعم فقال لها كيف تجدينك ؟ قالت ما أراني الا (لما بي) فقال وددت أنك لم تفارقيني في الدنيا حتى تعولي يتيما أو تجهزي مجاهدا » الخ . وهو مما جاء التعبير فيه بصيغة التكلم والعلم لله ومثله في ذلك ماجاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 164 ونصه : «كتب عمر ابن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك حين احتضر : «السلام عليك . أما بعد ، فاني لا أراني الا (لما بي) . فالله الله في أمة محمد ، فانك تدع الدنيا لمن لا يحمدك وتفضي الى من يعذرك والسلام» وهذا هو الشاهد الرابع .. والعلم لله .

عبد الله كنون

---

(1) الاشارة الى الاستاذين محمد العربي العلمي ومحمد سعيد العريان وكتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي المنشور بتحقيقهما .